

فصل فى ملوك العراق

ملوك العراق هم المناذرة بنو عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي كانوا عُمَّالاً للأكاسرة على عرب العراق وكانت دولتهم من أعظم دول ملوك العرب وكان مقامهم بأرض الحيرة على ساحل الفرات مسافة فرسخٍ واحدٍ عن الكوفة وكان أول من ملك على العرب فى أرض الحيرة مالك بن فهم بن غنم بن وس بن غرثان بن عبد الله بن وهزان بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد وهو من ولد كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه فى أيام ملوك الطوائف الذين أقامهم الإسكندر على قبائل العرب قبل الأكاسرة وكان منزله بالأنبار فأقام بها إلى أن رماه سُلَيْمَةُ بن مالك بسهمٍ فأصاب مقتله ولما علم أن سُلَيْمَةَ راميهِ أنشد يقول:

❖ جزانى لا جزاه الله خيراً سُلَيْمَةُ أنه شرّاً جزانى ❖
❖ أعلمه الرماية كلَّ يوم فلما اشتدَّ ساعدهُ رمانى ❖

والأنبار بلدةٌ قديمةٌ على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ وإنما قيل لها الأنبار لأن ملوك الأكاسرة كانوا يخزنون فيها الطعام وقد تواترت الروايات أن أول من استنبط الكتابة بالعربية مُرَامِر بن مرّة الأنبارى ومن الأنبار انتشرت الكتابة فى الناس وذكروا أن قُرَيْشًا سئلوا من أين لكم الكتابة فقالوا من الحيرة وقيل لأهل الحيرة من أين لكم الكتابة فقالوا من الأنبار وقيل أن الذى قتل هذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى

وكان قد قدم إلى الحيرة فعاد إلى مكة بهذه الكتابة وقيل لأبى سفيان بن حرب ممن أخذ أبوك هذه الكتابة فقال من أسلم بن سدره وقيل لأسلم ممن أخذت الكتابة فقال من واضعها مُرارة بن مَرَّة وكان وضع هذه الكتابة قبل الإسلام بمدة يسيرة وكان لحمير كتابةً تسمى المسند كانت حروفها تُكْتَب منفصلة لا يتصل بعضها ببعض وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحدٌ إلا بإذنهم انتهى * ولما مات مالك بن فهم المذكور ملك بعده أخوه عمرو بن فهم وفي أيامه كان ميلاد المسيح في بيت لحم وذلك سنة ثلثماية وثلثين من تاريخ الإسكندر بعد خليقة العالم بأربعة آلاف وأربعة سنين ولما توفي عمرو بن فهم المذكور ملك بعده ابن أخيه جذيمة بن مالك بن فهم وكان شديد الوطأة ظاهر الحزم وهو أول من غزا بالجيوش وشنَّ الغارات على قبائل العرب وكان به برصٌ فقيل له جذيمة الأبرص فلما عظم أمره قيل له الأيرش كنايةً عنه وربما قيل له جذيمة الوضاح تلمظاً في اللفظ لأن الوضاح بمعنى البرص وساتولى جذيمة من السواد إلى ما بين الحيرة والأنبار وجميع القرى المجاورة لبادية العرب فكان يتولى أمورها ويحجى أموالها وطالت مدته وشاع ذكره في كل مكانٍ وعظم شأنه وخافت من سطوته العرب وكان له أختٌ يقال لها رَقَش وكان يحبها ويرفع منزلتها فهويت عدى بن نصر بن ربيعة الأيادي وكان جذيمة قد اسطنعه وسلم إليه مجلس شرا به فقالت له يا عدى إذا سقيت الملك فأخذ الشراب منه فاخطبني إليه فإن أجابك فاشهد القوم ففعل عدى كذلك ثم انصرف إليها وقال قد أنعم الملك بما سألته فقالت إذن أدخل بأهلك فدخل بها وأصبح مَضْرَجاً بالخلوق فقال جذيمة ما هذه الآثار يا عدى قال آثار عرس رقاش التي زوّجتني بها البارحة فأطرق جذيمة إلى الأرض وعرف عدى الشرّ في وجهه فعمد إلى الفرار ودخل جذيمة إلى رقاش وهو يقول *

خبرني وأنتِ غير كذوبٍ أيجرّ زنيّت أم بهجينِ
أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لعبدٍ أم بدونٍ فأنتِ أهلٌ لدونِ

فقالت رقاش لا والله بل زوجتني كفوا كريماً من أبناء الملوك فنقلها جذيمة إليه

وحصنها في قصره وكانت قد علقت بولدٍ فلما حان وضعها ولدت غلامًا وسَمَّته عمرًا وربته حتى ترعرع فَأَنِفَ جذيمة منه ورده عن وجهه فهام في البرية وكان عمره تسع سنين ولما فقدته أمه اشتدَّ حزنها عليه فقلق جذيمة لذلك وندم على طرده وأرسل في طلبه رجالًا في كل ناحية فلم يقع له على أثرٍ وما زال جذيمة بطلبه زمانًا ونذرت أمه رقاش أن ردهُ الله عليها أن تطوّقه بطوقٍ من ذهب وجعل جذيمة لمن يأتيه به ما يتمناه فطلبتَه العرب برغبةً في ذلك ولم يجده أحد ومضى على ذلك سبع سنواتٍ فاتفق أن وف على جذيمة مالك بن فارح وأخوه عقيل من بنى قضاة في حاجةٍ لهما فنزلا في بعض الطريق ومعهما امرأة يقال لها أم عمرو فقدمت إليهما طعامًا وجلسا يأكلان وإذا هما يفتي حسن المنظر عريان لا يستتر بشيء وقد طال شعره على وجهه وطالت أظفاره حتى صارت كالمخالب فدنا منها واستأذن أن يجلس معها على الطعام فأذنا له وجعلت أم عمرو تسقيهما ولا تسقينه فقال:

صددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرو وكان الكاس مجراها اليمينَا
وما شرُّ الثلثة أمَّ عمرو بصاحبك الذئ لا مصحبينا

فقالت المرأة لا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع فأرسلتهما مثلاً وكان قد خامر نفس الرجلين أنه ابن أخت الملك فاستعرفاه وإذا هو كذلك فقصا شعره وقلما أظفاره وألبساه من خير ثيابها وأقبلا به حتى دخلا على جذيمة فسرَّ به وقال أن للقضاء عيين قد علتُ لمن أتاني به حكمه فاحتكما فقالا قد احتكمنا عليك منادمتك ما بقينا وبقيت قال ذاك لكما فكانا نديميه حتى مات وفي ذلك يقول متمم بن نويرة *

لقد لَفَّتِ المنهال تحت ثيابه فتىً غير مبطان العشيات أروعَا
وكنا كندمانى جذيمة حُقبَةً من الدهر حتى قيل لن نتصدعا
فلما تفرقنا كانى ومالكا لطول اجتماع لم تبت ليلةً معا

قيل أنها نادماه أربعين سنةً لا يفارقانه حتى ضُربَ بهما المثل وأدخل جذيمة

عمراً على أمه رقاش فأخذته وجعلت في عنقه الطوق الذي نذرته له وكان في أيام
 جذيمة قد ملك الجزيرة وأعلى الفرات رجلٌ من العمالة يقال له عمرو بن الظرب
 بن حسان العيلقي فجرت بينه وبين جذيمة حروبٌ كثيرة وانتصر جذيمة على
 عمرو فقله وكان علمرو بانه تسمى نائلة وكانت تلقب بالزباء لكثرة ما عليها من
 الشعر فملك بعد أبيها وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وأخذت في الحيلة على
 جذيمة لعلها تدرك منه ثأر أبيها فكتبت إليه أن النساء لا تصلح للملك ولا تقوم
 بحق السياسة وأنها لم تحجد لملكها موضعاً ولا لنفسها كفواً غيره ودعته أن يقدم
 إليها لتجمع ملكها إلى ملكه وتقلده أمرها فلما أتى كتابها جذيمة استخفه الطمع
 وجمع أهل الرأي من ثقاته وهو يومئذ في مكانٍ على شاطئ الفرات يقال له بقة
 واستشارهم في ما دعته إليه فأجمع رأيهم على المسير إليها وكان عنده قصير بن سعد
 اللخمي وكان حازماً لبيباً فأنكر ما أشار به القوم وقال رأى فاتر وغدرٌ حاضر ونهى
 جذيمة عن ذلك وقال الرأي أن تكتب إليها فإن كانت صادقةً فلتقبل إليك وإلا فلا
 تمكنها من نفسك ولا تقع في حبالها وقد وترتها بقتل أبيها فلم يلتفت جذيمة إلى
 قوله ومضى وقد استخلف ابن اخته عمراً على ملكته وجعل معه عمرو بن عبد
 الجن على خيله وسار جذيمة في وجوه أصحابه على شاطئ الفرات من الجانب
 الغربي فلما نزل دعا قصيراً وقال ما الرأي يا قصير فقال بقة خلفت الرأي فذهبت
 مثلاً ومضى جذيمة حتى دخل عليها وهي في قصرها فأمرت جواريا فاجتمعن
 عليه ليكفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالأعمدة حتى تهشم فأرثته وأجلسته
 على نطع وأمرت به ففقطعت رواشه وجعلت دماؤه تشخب في طستٍ أعدته له
 لأن الملوك لا تقتل بضرب الأعناق إلا في الحرب تكرمةً للملك ولما ضعفت يده
 سقطتا فجعل دمه يقطر على الأرض حتى مات ولما أحسَّ قصيرٌ بقتله احتال حتى
 ركب العصا فرس جذيمة وانطلق يعدو وكان عمرو بن عدى يركب كل يوم فيأتي
 طريق الحيرة ملتصقاً خبر خاله فيبينها هو ذات يوم إذ نظر إلى فارسٍ قد أقبل فلما دنا
 عرف الفرس فقال ما وراءك يا قصير قال قُتل والله خالك فاطلب ثأرك من الزباء
 العفلاء فقال عمرو من لى بها وهي أمتع من عقاب الجوّ فذهب قوله مثلاً ولما علم

قصير أن عمرًا لا يقدر عليها عمد إله أنفه فقطعه ثم ركب وسار نحو الحيرة حتى أتى الزُبَاءَ فاستأذن عليها وقال أيتها الملكة إن عمر بن عدى قد فعل بى ما ترين بزعم أنى أشرت عليك بقتل خاله وقد خفت أن يقتلنى ففررت إليك لأخدمك واستأمن على نفسى وستجدين عندى كفايةً فى كل ما تفوضينه إلى وكانت قد أمرت بأصحاب جذيمة فقتلوا عن آخرهم وطلبت قصيرًا فلم يلحق ولما رآته حينئذٍ كذلك اغترت بصدقه فعفت عنه وقالت له أقم فلك عندى كل ما تحب وفوضت إليه نفقتها فأراها النصح والاجتهاد فى قضاء حوائجها ورأت منه الشهامة فأقام عندها حولاً ثم قال لها يا سيدتى إن لى بالعراق مالاً أريد أن أخرج إليه فأذنت له ودفعت إليه مالاً يشتري لها به ثياباً من الخز والوشى وقطعاً من الياقوت والمسك والعنبر فانطلق حتى أتى عمرو بن عدى فأخذ منه ضعف ما لها واشترى لها ما أمرته به وانصرف إليها فظنت أن ذلك كله اشتراه بهاها فاستخصته وردجسته الثانية والثالثة وهو يفعل كذلك فوقع من قلبها موقعاً جليلاً حتى بعثت به فى المرة الرابعة بهالٍ زيلٍ وأمrote أن يشتري لها أمتعة كثيرة فانطلق إلى عمرو وقال قد قضيت ما على وبقى ما عليك قال ماذا على فقال أخرج معى بالرجاتل فى الرحال فاختر عمرؤ ألف رجلٍ من أصحابه وخرجوا معه بسيوفهم فى الصناديق فكان يسير بهم فى النهار وإذا أمسى أخرجهم حتى إذا كان على ميلٍ من مدينتها تقدّم حتى دخل عليها وقال اصعدى أعلى القصر لتنظرى ما أتيتك به فصعدت تنظر من أعلى قصرها فرأت ثقل الأحمال فأنشدت تقول *

**** ما للجمال مشبها ويذا ** أجندلاً يحملن أم حديدا ****

*** أم صرّ فأنًا باردًا شديدًا ***

قال قصير فقلت فى سري بل الرجال رُبضاً قعودا

ثم أمرت بالرجال فأدخلت قصرها وقت مساءٍ وقالت إذا كان الغد نظرنا إلى ما أتيتنا به فلما جنّ عليهم الليل فتحوا مكانهم وخرجوا من الصناديق وفى أيديهم السيوف فقتلوا جميع من كان فى القصر من جوارياها وكان لها سربٌ فى ناحية من

قصرها قد أعدته لخوف يحلُّ بها لتخرج من المدينة وكان قصير قد عرفه ووصفه
لعمر و فصار إليها بالسيف فقطعها إربًا وغنم ما في مدينتها وانصرف إلى أرضه وهو
يقول *

الأيأ أيها الغرُّ المرحى	ألم تسمع بخطب الأولينا
دعا بالبقة الوزراء يومًا	جذيمة يستشير الناصحين
فطاوع أمرهم وعصى قصيرًا	وكان يقول لو نفع اليقينا
لقد خطب الذى غدرت وخانت	وهنّ ذوات غدرٍ يزدهينا
فخطبت فى صحتها إليه	ليملك بضعها أو أن يدينا
ففاجاهما وقد جمعت جموعًا	على أبواب حصنٍ مصلتنا
وحكمت الحديدًا براهشيه	فأضحى قولها كذبًا ومينا
وخبرت العصا الأبناء عنه	ولم أرَ مثل فارسها هجينا
فبات نساؤه تُكلّأ عليه	مع الأبناء يُعلين الأئينا
فولى أنفه موسى قصيرٌ	ليخدعها وكان به ضنينا
مخاتلة ابنة الريّان مكرًا	فاذهل عقلها الوافى الرصينا
أنتها العير تحمل ما دهاها	رجالًا فى المسوح مسومينا
وفاجاها على الاتفاق عمرو	بشكته ولم تخش الكميننا
فجللها عتيق الحد غضبًا	يشقُّ به الخواجب والجيننا
ألم تر أن ريب الدهر يؤذي	ويورد للفتى الحين المبينا
ولم تر لاهيًّا يلهو بشيء	ولو أثرى ولو ولد البنينا

وكانت مدة ولاية جذيمة ستين سنة وتولّى بعده ابن أخته عمرو بن عدى وكان
يغزو المغازى ويصيب الغنائم وتجتنى إليه الأموال وكان مدة ملكه إلى أن مات
ثمانين سنة ولما توفى عمرو قام بعده بالملك ابنه امرؤ القيس بن عمر بن عدى وكانت

أُمهُ مَارِيَةُ بِنْتُ عَمْرِو الْأَزْدِيِّ وَكَانَ مُلْكُهُ خَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً وَلَمَّا تَوَفَّى أَمْرُ الْقَيْسِ
 مُلْكُ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَمْرُو أُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو كَانَ عَلَى الْهَمَةِ شَدِيدَ الْبَاسِ
 شَاعِرًا فَصِيحًا وَمِنْ مُحَاسِنِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ *

نَحْنُ الْمَكِيُّونَ حَيْثُ يَحْمَدُنَا الْـ	مَكْتُ وَنَحْنُ الْمَصَابِرُ الْأَنْفُ
وَالْخَافُوا عُرْوَةَ الْعَشِيرَةِ لَا	يَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِنَا وَكَفْ
وَاللَّهُ لَا تَزْدَهِي كَتِيبَتُنَا	أَسَدُ عَرِينٍ مَقِيلُهَا الْعُرْفُ
إِذَا مَشِينَا فِي الْفَارَسِي كَمَا	تَمْشَى جَمَالٌ صَاعِبٌ قَضْفُ
نَمْشَى إِلَى الْمَوْتِ مِنْ حَفَايِظِنَا	مَشْيًا ذَرِيعًا وَحَكْمَنَا نَصْفُ
وَنَصْدُرُ الْخَيْلَ وَهِيَ حَامِلَةٌ	تَحْتَ صَوَاهِجِ جَمَاجِمٍ خَفْفُ

وَكَانَ مُلْكُهُ سِتِينَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكُ بَعْدِهِ أَوْ بَنِي قَلَامِ الْعَمَلِيْقِيِّ فَخَرَجَ الْمَلِكُ حَيْثُ نَزَلَ مِنْ
 آلِ بَيْتِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقُمْ مِنَ الْعَمَالِيقِ سِوَى مُلْكٍ آخِرٍ حَتَّى رَجَعَ الْمَلِكُ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ
 عَدَى فَمَلِكٌ مِنْهُمْ أَمْرُ الْقَيْسِ مِنْ وَلَدِ عَمْرِو الْقَيْسِ الْمَذْكُورِ أَنْفًا وَكَأَيْلَقِبِ
 بِالْمُحْرِقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَكَانَ مُلْكُهُ عَشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكُ بَعْدِهِ ابْنُهُ النُّعْمَانُ
 الْأَعُورُ وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْخُورَنَقَ وَالسَّدِيرَ وَأُمُّهُ شَقِيقَةُ بِنْتُ أَبِي رِبِيعَةَ بْنِ ذَهْلِ بْنِ
 شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نَكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ وَأَبْعَدَهُمْ مَغَارًا غَزَا
 الشَّامَ مَرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ الْمَصَابِيحِ فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ وَهُوَ الَّذِي
 نَهَضَ بِثَارِ الضَّيْرِ بْنِ الْغَسَّانِيِّ وَأَخَذَ دِينَهِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ مِنْ سَابُورِ ذِي الْأَكْتَفِ
 وَكَانَ صَارِمًا حَازِمًا ضَابِطًا لِمُلْكِهِ وَاجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ
 مِنْ مُلُوكِ الْحِيرَةِ وَإِلَيْهِ يَشِيرُ الْمُنَخَّلُ الْيَشْكُرِيُّ فِي قَوْلِهِ *

وَإِذَا سَكَرْتُ فـإِنَّنِي	رَبُّ الْخُورَنَقِ وَالسَّدِيرِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فـإِنَّنِي	رَبُّ الشَّوْبِيهِ وَالسَّبْعِيرِ

وَلَمَّا أَتَى عَلَى الْمَلِكِ النُّعْمَانَ ثَلَاثُونَ سَنَةً فِي الْمَلِكِ صَعَدَ عَلَى مَجْلِسِهِ فِي الْخُورَنَقِ
 وَتَأَمَّلَ فِي الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ وَالْأَمْوَالُ وَالذَّخَائِرُ الَّتِي عِنْدَهُ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ أَىْ خَيْرٍ فِي هَذَا

الذى ملكته اليوم ويملكه غيرى غدا وزهد فى الملك فبعث إلى حجابيه ونحاهم عن بابه حتى إذا جنَّ الليل التحف بكساءٍ وساح فى الأرض فلم يره أحدٌ بعد ذلك وبقي فى سياحته ثلاثين سنة إلى أن مات وإليه أشار عدى بن زيد التميمى حيث يقول *

أين كسرى تاج الملوك بين سا	سان أم أين قبله سابورُ
وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دجلة	تجبنى إليه والخابورُ
شاده مرامراً وجلله تبراً	وللطير فى ذاره وكورُ
وتذكر ربَّ الخورنق إذا شرف	يوماً والمهدى تفكيرُ
سره ماله وكثرة ما يملك	والبحر معرضٌ والسيدرو
فارعوى قلبه فقال وما غبطة	حى إلى الممات بصيرُ
ثم بعد الفلاح والملك والأمة	وارتھمُ هناك القبورُ
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفَّ	فألوت به الصبا والدبورُ

آل محرَّق وفيهم يقول الأسود بن يعفر الدارمى بعد نكبة الأكاسرة لهم *

ماذا نؤمل بعد آل محرَّق	تركوا منازلهم وبعد أياد
أهل الخورنق والسدير وبارق	والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم	ماء الفرات يجرى من أطواد
جرت الرياح على رسوم ديارهم	فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة	فى ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكل ما يلهى به	يوماً يصير إلى بلى ونفاد

ولما تزهد النعمان الأعور واعتزل بنفسه عن الملك تولى ابنه المنذر بن النعمان وأمه هند بنت ذيد مناة الغسانى فأقام المنذر على ملكه أربعاً وأربعين سنة ثم توفى فملك بعده ابنه الأسود وكان مغواراً فاتكاً وهو الذى انتصر على بنى غسان عرب الشام

وأُسر عدة من ملوكهم فقتل بعضهم وعفا عن بعض وكانوا قد قتلوا ابن عم له في بعض الوقائع وله أخ يُقال له أبو أذينة فلما رأى الأسود يريد أن يعفو عن أسراهم وقف عليه وأنشأ يقول:

ما كلُّ يومٍ ينال المرءُ ما طلبا	ولا يسوغُهُ المقدار ما وهبا
وأحزم الناس من أن فرصةً عرضت	لم يجعل السبب الموصول مقتضبا
وأنصف الناس في كل المواطن من	سقى الأعداى بالكأس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم	بحدّ سيفٍ به من قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمةٌ	من قال غير الذى قد قتله كذبا
قتلت عمراً وتستبقى بزيد لقد	رأيت رأياً يجرّ الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها	إن كنت شهما فابتع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف أجعلهم له جزرا	وأوفدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم	لم يعفُ حلمًا ولكن عفوَ رَهبا
هُمُ أَهْلَةٌ غَسَّانٍ ومجدهمُ	عالٍ فإن حاولوا مكلًا فلا عجبا
قد عرّضوا بغدائٍ واصفين لنا	خيلاً وابلًا تروق العجم والعربا
ألون دماً منا ونخلبهم	رسلاً لقد شرفونا فى الورى حلبا
على متقبل منهم فديةً وهمُ	لا فضةً قبلوا منا ولا ذهباً

وأقام الأسود في الملك عشرين سنة ثم توفي فقام مكانه على الملك أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان الأعور وكان ملكه سبع سنين ثم ملك بعده النعمان بن الأسود وكان ملكه أربع سنين ثم ملك بعده يعفر بن علقمة الذميلي من أحد بطون بني خم وذلك سنة خمسماية وثلاث للمسيح وكان ملكه ثلاث سنين فملك بعده امرؤ القيس بن النعمن بن امرء القيس المحرق وهو الذى غزا بنى بكر يوم أواره في ديارهم وبني الحصن المعروف بالصنبر الذى يقول فيه الشاعر *

ليست شعري متى تحبُّ بنا النا قة نحو العذيب والصنبر

وقتل سنهار الرومي الذي بناه له حين فرغ من بنايه وفيه يقول الملتبس *

جزتنا بنو سعدٍ بحسنِ فعالنا جزاءَ سِنَمَارٍ وما كان ذا ذنب

وقيل أن سنهار بنى الخورنق للنعمان بن امرء القيس بظاهر الكوفة فلما فرغ من بنايه ألقاه من أعلاه فخر ميتاً ليلاً بينى لغيره مثله فضرب به المثل قال بعضهم *

جزى بنوه أبا الغيلان من كبرٍ وسوء فعلٍ كما جوزى سِنَمَارُ

وفى زمان امرء القيس بن النعمان المذكور كثر النصارى فى مملكة
الفرس وظهرت النصرانية جداً فى العراق وكان ملكه خمساً وعشرين سنة ثم
ملك بعده ابنه المنذر وكانت أمه ماوية بنت عوف بن جشم وقيل بن هى بنت
ربيعة التغلبى أخت كليب والمهلhel وكانت تُلقب بماء السماء لجمالها وقد غلب
لقبها على المنذر ف قيل له المنذر بن ماء السماء وعندما استولى المنذر على ملك أبيه
طرده قبّاذ كسرى عن الملك وأقام مكانه الحرث بن عمرو بن حجر الكندى الذى
يقال له أكمل المزار وكان الحرث قد وافق كسرى على دينه بخلاف المنذر فولّاه ملك
الحيرة مكانه وكان ملك المنذر اثنتين وثلثين سنة ولما توفى ملك ابنه عمرو بن هند
وهى أُمّة وإليها ينسب وكان جلوسه على سرير المملكة سنة خمسماية واثنين وستين
للمسيح وكان مقداماً شديد السلطان كثير المغازى مهيباً وكانت العرب تسميه
مضرط الحجارة لشدة ملكه وهو الذى غزا بنى تميم فى ديارهم فأوقع بهم وكان
السبب فى ذلك أن عمراً كان له أخٌ من أمه يدعى مالكاً نازلاً فى بنى دارم وهم حى
من تميم عند زرارة بن عدس وكان عمرو قد ضمه إليه ليحسن أدبه وكان القوم
يومئذٍ نازلين بأوارة وهو مكانٌ بالقرب من البحرين فاغتاله أحدهم سويد بن ربيعة
يوماً وقتله لجل ناقةٍ له كان مالكٌ قد نحرها وغمض خبره زماناً فبلغ بنى طى ذلك
وكان فيهم عمرو بن ثعلبة الفارس المشهور فكتب إلى عمرو بن هند يعمل به بقتل
أخيه *

من مبلغ عمرًا بأن المرء لم يخلق صباره
 وحوادث الأيام لا تبقى لها إلا الحجارة
 أن ابن عجزه أمه بالسفح أسفل من أواره
 تسقى الرياح خلال كـشحيه وقد سلبوا أزاره
 فاقتـل زرارة لا أرى فى القوم أفضل من زراره

فلما وقف عمرو على هذه الأبيات ثارت به الحمية وجمع أهل مملكته وسار طالباً
 القوم حتى أتى ديارهم فغزهم وقتل أكثرهم وكان سويد وزرارة قد بلغهما خبر
 قدومه فتفرقا فى نواحي البلاد قلم يقدر أن يقف لهما على خبر وكان لسويد سبعة
 أولادٍ فقتلهم وكانت امرأة زرارة حاملاً فعلا بالسيف بطنها فشقتها ثم أن عمرًا
 حلف أن يحرق منهم مائة رجل بثار أخيه وجعل يلتمس من ثار منهم فى تلك
 الأطراف ويلقى فى النار من وقع فى يده حتى أدرك تسعة وتسعين رجلاً وتعذرت
 عليه تتمّة المائة ولما كان ذات يوم آخر النهار أقبل راكبٌ يقال له عمار وكان من
 البراجم وهم قومٌ من بنى تميم وأتفق أن عمرًا كان قد ألقى رجلاً فى النار فسطع
 الدخان وفاح القطار فظنّ ذلك مآذبةً للطعام فأسرع إليها حتى أناخ إلى عمرو فقال
 عمرو ممن أنت قال من البراجم قال فيماذا أجيت قال سطع الدخان وأنا جايغُ
 فظننته طعاماً فقال عمرو أن الشقى وافد البراجم فذهبت مثلاً وأمر به فألقى فى
 النار وصار ذلك عاراً لبنى تميم بحبّ الطعام قال الشاعر *

إذا مات حى من تميم وسرّك أن يعيش فجىء بزاد
 تراه ينقب الآفاق حولاً ليأكل رأس لقمان بن عاد

وفى السنة التاسعة من ملك عمرو المذكور ولد محمد بن عبد الله بن
 عبد المطلب صاحب الشريعة الإسلامية وعمرو بن هند هو الذى أصلح بين بنى
 بكر وتغلب بعدما تفانوا فى حرب البسوس وأقام بالملك اثنتى عشرة سنة ثم قتله
 عمرو بن كلثوم التغلبي الشاعر لسببٍ يطول شرحه وتولّى بعده أخوه قابوس بن
 المنذر من هند بنت الحرت بن عمرو الكندى التى هى أم أخيه عمرو بن هند وكان

قابوس ضعيفاً مهيناً مولعاً باللهو والشراب والصيد وفيه يقول طرفة بن العبد
البكرى:

لعمرك أن قابوس بن هندٍ	ليخلط ملكه حمقٌ كثيرُ
قسمت الدهر فى زمنٍ رخيٍّ	كذلك الحكم يقصد أو يجورُ
لنا يومٌ وللكروان يومٌ	تطير الرايشات ولا نظيرُ
فأما يومهنَّ فيوم سوءٍ	تطاردهنَّ بالخرب الصقورُ
وأما يومنا فنظلُّ فيه	وقوفاً ما نحلُّ ولا نسيرُ

وأقام قابوس فى الملك خمس سنين ثم قتله رجل من بنى يشكر فملك بعده المنذر
بن المنذر أخو عمرو بن هند وكان معتدل القامة صبيح الوجه كريماً وكان ملكه
ثلث سنين ثم ملك بعده ابنه النعمان بن المنذر بن ماء السماء وذلك سنة خمسماية
وثلث وثمانين للمسيح وكان يكنى بأبى قابوس وهو الذى يقول فيه النابغة
الذبياني:

ألم أقسم عليك لتخبرني	أحمولٌ على النعش الهمامُ
فإنى لا ألومك فى دخولٍ	ولكن ما وراءك يا عصامُ
فإن يهلك أبو قابوس يهلك	ربيع الناس والشهر الحرامُ
ونمسك بعده بذناب عيشٍ	أجب الظهر ليس له سنامُ

وكانت أمُّ النعمان سلمى بنت وائل بن عطية الصايغ من أهل فدك وهى التى
يقول فيها عمرو بن كلثوم التغلبي:

حلت سلمى بختٍ بعد فرتاج	وقد تكون قديماً فى بنى تاج
إذ لا ترجى سلمى أن يكون لها	من بالخورنق من قينٍ ونساج
ولا يكون على أبوابها حرسٌ	كما تلف قبطى بدياج
تمشى بعدلين من لؤمٍ ومنقصةٍ	مشى المقيد فى اليلبوت والعاج

وكان النعمان أحمر أبرش قصيرًا ذميًا سيء الخلق وهو الذى قتل داهلية العرب عبيد بن الأبرص الأسدى فى يوم بوسه الذى جعله على نفسه حزنًا على نديميه اللذين قتلها وكان أحدهما خالد بن المضال والآخر عمرو بن مسعود وهما من بنى أسد أغضباه فى حال سكره فأمر أن يُحفر لكل واحدٍ منهما حفرةً فى ظهر الحيرة ويُدفن بها ففعل بهما كذلك ولما أصبح النعمان سأل عنها فأخبروه بخبرهما فندم على ذلك وحزن عليهما حزنًا شديدًا ثم أمر ببناء قبةٍ عليهما وجعل لنفسه يومين من السنة يجلس فيهما عند القبة أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس فكان أول من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الإبل وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يقتله ويطلّ بدمه تلك القبة وما زال على ذلك حتى مرّ به فى يوم بؤس أعرابى من طى يقال له حنظلة فأمر بقتله فقال حيى الله الملك إن لى صبيةً صغارًا وأم أوصى بهم أحدًا فإن رأيت أن تأذن لى فى إتيانهم وأعطيك عهد الله أنى أرجع إليك إذا أوصيت بهم فرقّ له النعمان وقال له اذهب ولكن بشرط أن يضمّنك أحدٌ ممن معنا وكان مع النعمان وزيره شريك بن عمرو فنظر إليه الطاءى وأنشد *

يا شريكُ بنَ عُميرٍ	هل من الموت محاله
يا أخاك لّ مصابٍ	يا أخا من لا أخاله
يا أخا النعمان فيك ال	يوم عن شيخ كفاله
إن شـيـيان قـيـلٌ	أكرم الله رجاله

فقال شريك على ضمانه أيها الملك فمضى الطائى وأحل أجلاً يأتى فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر لنعمان شريكًا وجعل يقول له إن مضى هذا اليوم ولم يحضر الأعرابى جعلتك فداءً له لضمانك إياه وشريك يقول ليس للمالك على سبيل حتى يمسى المساء فلما أمسى أقبل شخصٌ من بعيد والنعمان ينظر إليه وإلى شريك فقال شريك ليس لك على سبيل حتى يدنو هذا الشخص فلعله صاحبى وبينما هما فى الكلام إذ أقبل الطاءى وهو يشتدُّ فى عدوه حتى وصل وقال خشيت أن ينقضى

النهار قبل وصولي فمُر أيها الملك بأمرك فأطرق النعمان برهة ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت أعجب منك فماذا حملك على الرجوع إلى القتل قال ديني فإن من لا وفاء له لا دين له قال وما دينك يا أخا العرب قال النصرانية فقال أعرضها على فأعرضها فتنصّر النعمان وأطلق الأعرابي وأحسن إليه وأبطل تلك السنة من ذلك اليوم وأقام النعملان في الملك إلى أن قتله أبرويز كسرى بسبب قتله عدى بن زيد العبّادى ترجمان كسرى بينه وبين العرب وكان قتل النعمان سبباً لحرب ذى قار بين العرب والفرس على أثر ظهور الإسلام وكانت مدة ملك النعمان في العراق اثنتين وعشرين سنة ولما قتل النعمان أقام أبرويز كسرى مكانه في الحيرة إياس بن قبيصة الطاءى وذلك سنة ستماية وخمس للمسيح وكان إياس من أشرف طى فصيحاً جواداً مشهوراً بالشجاعة عالماً بأيام العرب ووقائعهم وأكثر شعره في الحماسة ومنه قوله *

وما وَلَدَتْنِي حَاصِنٌ رَّبَّيَّةٌ	لئن أنا مالأت الهوى لاتباعها
ألم تر أن الأرض رحبٌ فسيحةٌ	فهل معجزنى بقعةٌ من بقاعها
ومبثوثةٌ بثّ الدّبا مُسبطرةٌ	رددتُ على بطايها من سراعها
وأقدمتُ والخطى يخطر بيننا	لأعلم من جباؤها من شجاعها

وأقام إياس بالملك إلى أن وقعت حرب ذى قار وظفرت العرب بالفرس فانهزم إياس مع المنهزمين وعاد الملك إلى أهله فملك الأسود بن المنذر أخو الملك النعمان وفي أيامه اشتهر الحرث بن كلدة الثقفى بالطب أخذ ذلك عن أهل جند سابور وكانت العرب تقصده من أماكن بعيدة فيستوصفه من كان به علة ثم ملك بعد الأسود المذكور المنذر بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء الملقب بالمغرور وكانت أمه المتجردة بنت زهير بن جذيمة سيد بنى عبس وقيل اسمها هند والمتجردة لقب لها وفيها يقول المتخلّ الشكرى *

يا رُبَّ يَوْمٍ لِلْمَنخَلِ	قد لها فيه قصير
يا هند هل من نائلٍ	يا هند للعانى الأسير

واستمرَّ المنذر على ملك الحيرة إلى أن قتل بالبحرين يوم جَوّاثى وكان يلقب
بالمغرور وهو آخر ملوك اللخميّين الذين كانوا عمالاً للأكاسرة على عرب العراق
واستولى بعد المنذر خالد بن الوليد تحت راية الإسلام وأخذت من هنالك دولة
المسلمين *